جامعة الأزهر

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا

المجـــلة العلميـــة

ملامح المنهج النبوي في تعزيز الأمن الفكري

(دراسة تحليلية)

إعداد

د/ محمد عويس عبد الرحيم محمود

باحث في الدراسات الإسلامية

ومعلم خبير وزارة التربية والتعليم بمصر

(العدد الثامن عشر ٢٠٢١م)

ملامح المنهج النبوي في تعزيز الأمن الفكري (دراسة تحليلية)

محمد عويس عبد الرحيم محمود
قسم الحديث وعلومه، وزارة الأوقاف، الجامعة: الأزهر، المدينة: سوهاج، الدولة: مصر.
البريد الإلكتروني: Docewis2007@yahoo.com

ملخص البحث:
من المفاهيم المستحدثة في الفكر الإسلامي مفهوم «الأمن الفكري»، الذي يكتسب مكانته من ارتباطه بالأمن والفكر. فالأمن مطلب ضروري من مطالب الإنسان، عليه تقوم قواعد الدين، وتكتمل به شعائره، وتُبني به الحضارات، وترتقي بفضله المجتمعات، أما الفكر فهو مناط التكليف ووسيلة الفهم والتأمل والتفكُّر، وقد نهجت السنة النبوية نهجاً مثالياً راسخاً في تعزيز الأمن الفكري للمجتمع المسلم، وحماية الفرد والمجتمع من الإفراط والتفريط أو ما يُطلق عليه الغلو والتطرف والانحراف، تكمن أهمية الموضوع في أنه: يُبين مكانة الأمن الفكري في السنة النبوية، ويكشف عن مقاصد الشريعة الإسلامية في تحقيق الأمن الفكري، ويرصد ملامح المنهج النبوي في تعزيز الأمن الفكري بين جنبات المجتمع، وأخيرًا يُقدِّم قراءة لبعض نصوص السنة النبوية في ضوء المستجدات العصرية، والمشكلات الاجتماعية التي تعترض حركة الحياة المعاصرة، وقد خلُص البحث إلى أنَّ الأمن الفكري من أهم مقاصد الشريعة الإسلامية، وأنَّ نظرة الإسلام إلى الأمن نظرة شمولية تتخطى حدود الأمن الجنائي للفرد إلى تحقيق أمنه النفسي والروحي والعقلي. كما تجلت ملامح المنهج النبوي في تعزيز الأمن الفكري للفرد والمجتمع

من خلال عدة أساليب تناسب حال المستهدفين من الدعوة منها؛ الموعظة الحسنة، والحوار، والرد على المضللين، والعقوبة الرادعة.

الكلمات المفتاحية: ملامح، المنهج، النبوي، السُّنة، الأمن الفكري.

Features of the Prophetic Approach in Enhancing Intellectual Security An analytical study

Muhammad Owais Abdul Rahim Mahmoud

Department of: Hadith and its Sciences, College: Islamic and Arabic Studies for Boys in Qena, University: Al-Azhar, City: Sohag, Country: Egypt.

E-mail: Docewis2007@yahoo.com

Abstract:

One of the concepts developed in Islamic thought is the concept of "intellectual security", which gains its status from its association with security and thought. Security is a necessary requirement of man, upon which the rules of religion are based, and its rituals are completed by it, civilizations are built with it, and societies elevate thanks to it The Prophetic Sunnah has taken an ideal and well-established approach in enhancing the intellectual security of the Muslim community, and protecting the individual and society from excessive and negligence or what is called extremism, extremism and deviation.The importance of the topic lies in that: it shows the status of intellectual security in the Prophetic Sunnah, reveals the purposes of Islamic Sharia in achieving intellectual security, monitors the features of the Prophetic method in enhancing intellectual security among the community, and finally provides

a reading of some texts of the Prophetic Sunnah in the light of modern developments and social problems. that oppose the movement of contemporary life.The research concluded that intellectual security is one of the most important purposes of Islamic law, and that Islam's view of security is a holistic view that goes beyond the limits of criminal security for the individual to achieve his psychological, spiritual and mental security. The features of the Prophetic approach were also manifested in enhancing the intellectual security of the individual and society through several methods that suit the situation of those targeted by the call. Good exhortation, dialogue, response to misleaders, and deterrent punishment.

keywords: Features, Approach, Prophetic, Sunnah, Intellectual security.

المقدمة

الحمد لله الذي منَّ على عباده بالنعيم العظيم، القائل في حق أهل مكة ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش:٣-٤]، وصلاة وسلاماً على نبيه محمد ﷺ القائل في حديثه الشريف مؤكداً على نعمة الأمن وفضلها: "من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في بدنه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها" (١).

أما بعد، فمن المفاهيم المستحدثة في الفكر الإسلامي مفهوم «الأمن الفكري»، الذي يكتسب مكانته من ارتباطه بالأمن والفكر. فالأمن مطلب ضروري من مطالب الإنسان، عليه تقوم قواعد الدين، وتكتمل به شعائره، وتُبنى به الحضارات، وترتقي بفضله المجتمعات، أما الفكر فهو مناط التكليف ووسيلة الفهم والتأمل والتفكُّر.

وقد نهجت السنة النبوية نهجاً مثالياً راسخاً في تعزيز الأمن الفكري للمجتمع المسلم، وحماية الفرد والمجتمع من الإفراط والتفريط أو ما يُطلق عليه الغلو والتطرف والانحراف. ومن ثمَّ كان هذا البحث وجعلته بعنوان: ملامح المنهج النبوي في تعزيز الأمن الفكري (دراسة تحليلية)

أهمية الموضوع: تكمن أهمية الموضوع في أنه:

١. يُبين مكانة الأمن الفكري في السنة النبوية.
٢. يكشف عن مقاصد الشريعة الإسلامية في تحقيق الأمن الفكري.
٣. يرصد ملامح المنهج النبوي في تعزيز الأمن الفكري بين جنبات المجتمع.
٤. يقدِّم قراءة لبعض نصوص السنة النبوية في ضوء المستجدات العصرية، والمشكلات الاجتماعية التي تعترض حركة الحياة المعاصرة.

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد، رقم (٣٠٠)، والترمذي في السنن: رقم (٢٣٤٦).

الدراسات السابقة:

من أهم الدراسات التي طالعتها حول هذا الموضوع ما يلي:

١. فقه الإمام البخاري في تعزيز الأمن الفكري من خلال تراجم الصحيح كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة أنموذجًا، للباحث أحمد إدريس رشيد عودة، بحث منشور بمجلة البحث العلمي الإسلامي، المجلد (١٥)، أكتوبر – ربيع الأول، لبنان، سنة ١٤٤٢ه ٢٠٢٠م.

٢. معالم الأمن الفكري في القرآن الكريم والسنة النبوية من خلال صحيح البخاري، للباحث علي بن مناور بن ردة الرفاعي الجهني، بحث منشور بمجلة البحث العلمي الإسلامي، المجلد (١٥)، أكتوبر – ربيع الأول، لبنان، سنة ١٤٤٢ه ٢٠٢٠م.

٣. حفظ الضرورات الخمس وأثرها في تحقيق الأمن الفكري دراسة استقرائية تحليلية من خلال كتاب الأدب في صحيح البخاري، للباحث هاشم بن علي بن أحمد الأهدل، بحث منشور بمجلة البحث العلمي الإسلامي، المجلد (١٥)، أكتوبر – ربيع الأول، لبنان، سنة ١٤٤٢ه ٢٠٢٠م.

٤. الهدي النبوي في معالجة الانحراف الفكري، للدكتور فيحان البصيص المطيري، منشور بمجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة – جامعة الأزهر، العدد (٣٥) الجزء (٢)، سنة ٢٠١٨م.

٥. علاج الانحراف الفكري في ضوء الكتاب والسنة، للدكتورة حبيبة شهرة، بحث منشور بمجلة الأندلس، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف – مخبر نظرية اللغة، العدد (١١) المجلد الثالث، الجزائر يونيو سنة ٢٠١٨م.

٦. الأمن الفكري في ضوء السنة النبوية (دراسة علمية لبناء النظرية الإسلامية للأمن الفكري)، بحث فائز بجائزة الأمير نايف بن عبد العزيز آل سعود العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة (فرع السنة النبوية) للدكتور عبد

الرحمن بن معلا اللويحق، الدورة السادسة لعام ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م مطبوع على نفقة المؤسسة، الطبعة الأولى سنة ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.

٧. الأمن الفكري في مواجهة المؤثرات الفكرية، للدكتور حيدر عبد الرحمن الحيدر، منشور بكلية الحقوق جامعة المنصورة سنة ٢٠٠١م.

٨. خطبة الجمعة أهميتها وأثرها في تعزيز الأمن الفكري، للباحث محمد بن عدنان ابن محمد السمان مشرف تربوي وخطيب جامع الجهيمي بالرياض، بحث مُقدَّم للملتقى العلمي الأول للأئمة والخطباء بعنوان (تفعيل رسالة الأئمة والخطباء في ضوء المتغيرات المعاصرة) الذي أقامه المعهد العالي للأئمة والخطباء بجامعة طيبة في الفترة (١٧-١٨ شوال سنة ١٤٣٠هـ)

٩. مفهوم الأمن الفكري في الإسلام وتطبيقاته التربوية، بحث ماجستير للطالبة "أمل محمد أحمد عبد الله" جامعة أم القرى، كلية التربية بمكة المكرمة، عام ١٤٢٨هـ.

١٠. حماية المجتمع المسلم من الانحراف الفكري، للدكتور: عبد الله بن عبد العزيز الزايدي بحث منشور بمجلة البحوث الإسلامية، العدد السابع والسبعون - من ذي القعدة إلى صفر لسنة ١٤٢٦هـ ١٤٢٧هـ.

١١. دور المعلم للجامعي في تحقيق الأمن الفكري لطلابه في ضوء تداعيات العولمة، للدكتورين: محمد عبد العزيز الثويني، وعبد الناصر راضي محمد بكلية المجتمع ببريدة، جامعة القصيم، السعودية، سنة ١٤٣٤هـ.

وقد اتفقت معظم الدراسات السابقة على أهمية الأمن الفكري للمجتمع بصفة عامة وللشباب بصفة خاصة، وردت أسباب الانحراف الفكري إلى الشيطان والجهل والتعصب والغلو والتفريط والضلال والهوى واتباع المتشابه وترك المحكم ومجالسة أهل الأهواء والبدع، كما اتفقت على أنَّ لمقاصد الشريعة دورًا مهمًا في حفظ العقل وصيانته من

الانحراف الفكري من خلال غرس العقيدة وقواعد الإيمان في النفوس والتحصن بالعلم النافع والعمل الصالح.

وتختلف الدراسة الحالية عن جميع الدراسات السابقة في أنها تنصبُّ على رصد ملامح المنهج النبوي في تعزيز الأمن الفكري للفرد والمجتمع في ضوء المستجدات العصرية.

منهج البحث:

أما عن منهجي في هذا البحث فيقوم على الاستقراء الناقص لنصوص السنة النبوية من أجل رصد ملامح المنهج النبوي في محاربة التطرف والانحراف وصولاً لتحقيق الأمن الفكري للإنسان المسلم، ويعتمد البحث -كذلك- على المنهج التحليلي في تحليل أهم قضاياه، ويستفيد البحث -كذلك- من قواعد المنهج الاستنباطي في استنباط أبرز ملامح هذا المنهج النبوي العظيم.

خطة البحث:

ينتظم البحث مقدمةً، وتمهيداً، ومبحثين، وخاتمة على النحو التالي:

المقدمة: تتناول أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومنهج الدراسة، والدراسات السابقة.

التمهيد: حول مصطلح الأمن الفكري.

المبحث الأول: مقاصد الشريعة ودورها في تحقيق الأمن الفكري، وفيه:

أولاً: تعريف مقاصد الشريعة.

ثانياً: أنواع مقاصد الشريعة.

ثالثاً: دور الشريعة الإسلامية في تحقيق الأمن الفكري.

المبحث الثاني: ملامح المنهج النبوي في تعزيز الأمن الفكري. ويأتي في عدة مطالب:

المطلب الأول: الموعظة الحسنة.

المطلب الثاني: الحوار.

المطلب الثالث: الرد على المضللين.

المطلب الرابع: العقوبة الرادعة.

الخاتمة: وفيها نتائج البحث وتوصياته.

المصادر والمراجع.

وأخيراً أقول: إن كنت قد وفقت فمن فضل الله ومَنْهِ، وإن كانت الأخرى فمني ومن الشيطان، وحسبي أنني اجتهدت والكمال لله وحده... والحمد لله رب العالمين.

التمهيد

حول مصطلح الأمن الفكري

من المفاهيم المستحدثة نسبياً في مجتمعنا الإسلامي مصطلح «الأمن الفكري»، فلم تعرف الثقافة الإسلامية في عصورها المتأخرة هذا المصطلح، ومع ذلك فهو يتفق مع ما ترمي إليه الشريعة الإسلامية في مقاصدها السامية من حفظ للدين والعقل.

يتركب مصطلح «الأمن الفكري» من قسمين هما: الأمن والفكر، ونعني بالأمن في لغة العرب سكون القلب والطمأنينة وعدم الخوف، جاء في لسان العرب لابن منظور أنَّ الأمن (ضد الخوف) [١] وذكر ابن فارس في معجمه مقاييس اللغة أنَّ: "(أمن) –الهمزة والميم والنون– أصلان متقاربان: أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة ومعناها سكون القلب، والآخر التصديق. والمعنيان متدانيان"[٢]

أما المفهوم الاصطلاحي للأمن فيدور في فلك المعنى اللغوي، فعرَّفه الجرجاني في كتابه (التعريفات) بقوله: "عدم توقع مكروه في الزمان الآتي"[٣]، ونتيجة لتطور الحياة البشرية تعددت المفاهيم الاصطلاحية للأمن بحسب المنظور الخاص لكل باحث في مجال تخصصه فكان الأمن النفسي، والأمن الجنائي، والأمن السياسي، والأمن الشرعي، والأمن المائي، والأمن الغذائي... إلخ.

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، مادة (أمن)، جـ١٣/٢١، ط. الثالثة. دار صادر، بيروت– لبنان، سنة ١٤١٤هـ

(٢) أحمد بن فارس القزويني: مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، جـ١/ ١٣٣، ط. دار الفكر، سنة١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م مادة (أمن)

(٣) علي بن محمد الجرجاني: التعريفات، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ص ٣٧، ط. الأولى– دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، سنة ١٤٠٣هـ– ١٩٨٣م.

إذا قصدنا إلى القسم الثاني من المصطلح (الفكر) وجدنا أن المعنى اللغوي الذي يتردد في معاجم اللغة يكاد يكون واحداً ألا وهو: التفكير والتدبر وإعمال العقل والتأمل، أورد ابن منظور في لسان العرب أنَّ الفكر مؤداه "إعمال الخاطر في شيء"(١)

وذكر ابن فارس في مقاييس اللغة أنَّ "الفاء والكاف والراء تردد القلب في الشيء، يقال: تفكر إذا ردد قلبه معتبراً "(٢)

أما المفهوم الاصطلاحي للفكر فقد حدده الجرجاني بقوله:" ترتيب أمور معلومة للتأدي إلى مجهول." (٣)

وذكر جمال صليب في المعجم الفلسفي خلاصة أقوال الفلاسفة بقوله "وجملة القول: أن الفكر يطلق على الفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات أو يطلق على المعقولات نفسها. فإذا أُطلق على فعل النفس دل على حركتها الذاتية وهي النظر والتأمل، وإذا أُطلق على المعقولات دل على المفهوم الذي تفكر فيه النفس" (٤)

أما (مفهوم الأمن الفكري) باعتباره مصطلحاً مركباً فقد تعددت أقوال الباحثين بخصوصه إلا أن المتتبع لهذه الأقوال يجدها تصب في بوتقة واحدة هي: صيانة العقل الإنساني وتأمينه من المفاسد والشرور التي تقوده إلى الانحراف وتجاوز حد الاعتدال ومن هذه الأقوال نذكر:

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، مادة (فكر)

(٢) أحمد بن فارس القزويني: مقاييس اللغة، مادة (فكر)، جـ٤ /٤٤٦.

(٣) علي بن محمد الجرجاني: التعريفات، ص ١٦٨.

(٤) جميل صليب: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، ج ١٥٦/٢، ط. دار الكتاب اللبناني، بيروت – لبنان، سنة ١٩٨٢م.

١. عرَّفه الدكتور سعيد الوادعي بقوله: "سلامة فكر الإنسان، وعقله، وفهمه من الانحراف، والخروج عن الوسطية والاعتدال في فهمه للأمور الدينية، والسياسية، وتصوره للكون"(١)

٢. عرَّفه محمد محمد نصير بقوله: "النشاط والتدابير المشتركة بين الدولة والمجتمع؛ لتجنيب الأفراد والجماعات شوائب عقدية، أو فكرية، أو نفسية تكون سبباً في انحراف السلوك، والأفكار عن جادة الصواب، أو سبباً للإيقاع في المهالك"(٢)

٣. وعرَّفه الدكتور عبد الحفيظ المالكي بأنه: "سلامة فكر الإنسان من الانحراف، أو الخروج عن الوسطية والاعتدال في فهمه للأمور الدينية، والسياسية، والاجتماعية، مما يؤدي إلى حفظ النظام العام، وتحقيق الأمن والطمأنينة، والاستقرار في الحياة السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية وغيرها عن مقومات الأمن الوطني"(٣)

والمدقق في هذه التعريفات وغيرها يدرك أنها تدور حول صيانة الفكر الإنساني من الجنوح والانحراف والتطرف في جميع شئون حياته عن مسار الوسطية والاعتدال، وكذا حماية الفرد والمجتمع من السلوكيات المنحرفة، وهذا هو جوهر الإسلام المتمثل في مقاصد الشريعة الإسلامية وتحقيق الضروريات الخمس: حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال. وهي أمور يتوقف عليها حياة الناس وصلاح المجتمع واستقامته.

---

(١) عبد الرحمن بن معلا اللويحق: الأمن الفكري في ضوء السنة النبوية، ص ١١١ نقلاً عن الأمن الفكري الإسلامي، ص٥٠، مجلة الأمن والحياة، عدد (١٨٧)، سنة ١٤١٨هـ

(٢) عبد الرحمن بن معلا اللويحق: الأمن الفكري في ضوء السنة النبوية، ص١١١ نقلاً عن الأمن والتنمية، ص١٢

(٣) عبد الحفيظ المالكي: نحو بناء استراتيجية وطنية لتحقيق الأمن الفكري في مواجهة الإرهاب، ص٤٩، ط. جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض – ا–السعودية، سنة ١٤٢٧هـ.

المبحث الأول

مقاصد الشريعة ودورها في تحقيق الأمن الفكري

هناك ارتباط واضح بين الأمن الفكري والشريعة الإسلامية فهو يمثل أحد جوانب الأمن التي جاءت الشريعة الإسلامية لحفظها وحمايتها وتربية البشر عليها، يقول الدكتور محمود هاشم "إننا نستشعر الرعاية الإلهية من خلال التوجيهات القرآنية المعجزة والتي تدفع باتجاه تربية أمنية واعية للمؤمنين، فنجد في القرآن الكريم عشرين صيغة لمادة (أمن) تبين بمجموعها أن حقيقة الأمن من الله سبحانه، فلا أمن حقيقي لأي فرد أو جماعة أو أمة مهما كانت احتياطاتها وسياساتها ما لم يتكفل الله لها بالأمن من عنده. وقد وردت هذه الصيغ في ثمان وأربعين موضعاً من كتاب الله وذلك في أربع وعشرين سورة"(١).

ونبين – بفضل الله – في هذا المبحث أواصر الصلة بين الأمن الفكري ومقاصد الشريعة الإسلامية من خلال النقاط التالية:

أولاً: تعريف مقاصد الشريعة:

لم يُعرِّف القدماء مقاصد الشريعة؛ لأنهم كانوا يتعرضون للكلام عليها في موضوعات الأصول كالعلل والمصالح وغيرها وربما كان إحجامهم عن تعريفها لوضوحها في أذهانهم. أما المحدثون فقدموا لها عدة تعريفات، نذكر منها:

١. تعريف الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور: "مقاصد التشريع العامة هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها"(٢)

---

(١) د. عبد السلام اللوح و د. محمود هاشم: التربية الأمنية في ضوء القران الكريم (دراسة موضوعية)، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد الرابع عشر، العدد الأول. يناير ٢٠٠٦، ص٢٢٩.

(٢) الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور: مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق ودراسة: محمد الحبيب ابن الخواجة، جـ٣/ ١٦٥، ط. وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية- قطر- سنة ١٤٢٥ هـ- ٢٠٠٤م

٢. تعريف علاَّل الفاسي: "هي الغاية منها والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها"(١)

٣. تعريف أحمد الريسوني: "الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد"(٢)

٤. تعريف الدكتور محمد بكر إسماعيل: "هي المصالح العاجلة والآجلة للعباد التي أرادها الله ﷻ من دخولهم في الإسلام وأخذهم بشريعته"(٣)

ثانياً: أنواع مقاصد الشريعة:

تهدف المقاصد إلى أمان العالم وحفظ نظامه ويتأتى ذلك بتحقيق المصالح، وإبطال المفاسد ورفع الحرج وتخفيف الضرر.

ومن ثمَّ جعلها العلماء محصورة في ثلاثة أنواع هي:

١- المقاصد الضرورية: وهي المقاصد التي يتوقف عليها حياة الناس وصلاح المجتمع واستقامته، وقد اصطلح العلماء على تسميتها بالكليات الخمس، وهي: حفظ (الدين والنفس والعقل والنسل والمال) ولا توجد حياة إنسانية مستقرة إلا بمراعاة هذه الكليات الخمس والمحافظة عليها، ولذا كان المقصد الأول للشريعة إقامتها، ودوامها وكان القرآن الكريم أصلها والشاهد لها. (٤)

(١) علاَّل الفاسي: مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، ص ٣، ط. الخامسة، دار الغرب الإسلامي، المغرب سنة ١٩٩٣ م.

(٢) أحمد الريسوني: نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، ص٧، ط. الثانية، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، سنة ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

(٣) د. محمد بكر إسماعيل: مقاصد الشريعة تأصيلاً وتفعيلاً، ص١٨ ط. رابطة العالم الإسلامي، سلسلة دعوة الحق، العدد (٢١٣) السنة الثانية والعشرون، ١٤٢٧هـ

(٤) حمادي العبيدي: الشاطبي ومقاصد الشريعة، ص١٢٠، ط. الأولى، درا قتيبة، سنة ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م

٢- المقاصد الحاجية: وهي الأمور التي يحتاج إليها الناس لرفع الحرج ودفع المشقة والعنت عنهم، أو هي التي لابد منها لقضاء الحاجات كتشريع أحكام البيع، والإجازة، والنكاح، وسائر ضروب المعاملات. وتتضمن الحاجيات الرخص وكل أنواع التيسير والتوسعة على الناس لرفع الحرج، ولهذا الهدف أُبيح أكل الميتة، والتيمم عند الطهارة بالماء، وقصر الصلاة وفطر رمضان في السفر... [١] إلخ

٣- المقاصد التحسينية: وهي كل ما يعود إلى العادات الحسنة والأخلاق الفاضلة، والمظهر الكريم، والذوق السليم، مما يجعل الأمة الإسلامية أمة مرغوباً في الاندماج فيها أو في التقرب منها[٢] نحو: اجتناب الإسراف، والبخل، ومراعاة آداب الطعام وحسن المعاشرة بين الناس وستر العورة... إلخ.

مما سبق يتضح لنا أن الشريعة الإسلامية تهدف إلى تحقيق مصالح الناس ودفع الضرر عنهم، يقول ابن القيم -رحمه الله-: "مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل.

فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله ﷺ أتم دلالة وأصدقها.. فالشريعة التي بعث الله بها رسوله ﷺ هي عمود العالم وقطب الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة." [٣]

---

(١) حمادي العبيدي: الشاطبي ومقاصد الشريعة، ص١٢١، ١٢٢

(٢) محمد الطاهر ابن عاشور: مقاصد الشريعة الإسلامية، جـ٣/ ٢٤٣

(٣) ابن قيم الجوزية: إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق محمد عبد السلام إبراهيم، جـ٣ / ١١، ط. الأولى، دار الكتب العلمية- بيروت، سنة ١٤١١هـ- ١٩٩١م

ولعل من أهم المصالح التي تسعى الشريعة الإسلامية إلى تحقيقها الأمن بكافة أشكاله، ويأتي في المقدمة «الأمن الفكري» فكما رأينا آنفاً أن العقل أحد الكليات الخمس الضرورية التي تهدف إلى حفظها، والعقل هو مناط التكليف والموجه لحركة الإنسان في الحياة وصيانته من المفاسد والأفكار الهدامة والتطرف أمر واجب، ومن ثمَّ سعت نصوص الشريعة إلى تحقيقه.

ثالثاً: دور الشريعة الإسلامية في تحقيق الأمن الفكري:

الأمن نعمة من نعم الله، وهو إحساس يشعر به الإنسان مع الإيمان والتقوى والعمل الصالح، يقول الله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه:١٢٣-١٢٤] ففي إتباع أحكام الإسلام الأمن والسكينة والسعادة في الدارين الدنيا والآخرة، وفي الإعراض عنها الخوف والفقر في الدنيا والشقاء في الآخرة. ولعلنا ندرك من هذه الآية مدى الصلة الوثيقة بين الأمن والإيمان. ويقول الله تعالى مؤكداً على تحقيق الأمن بالإيمان والالتزام بقواعد الشريعة: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُون﴾ [الأنعام: ٨٢]

إنَّ نظرة الإسلام إلى الأمن نظرة شمولية، حيث تهتم الشريعة بتحقيق الأمن النفسي والروحي والعقلي والجسدي ولا يتحقق ذلك إلا بالإيمان والتقوى والعمل الصالح.. وفي تعاليم الشريعة الإسلامية نجد الوسائل الموضوعة لتأمين الفكر الإنساني، ويقود الإنسان إلى الاعتدال في الفكر والسلوك؛ حتى لا يصبح فاسداً يجني على نفسه ويضرها، مفسداً لغيره من أفراد المجتمع، على النحو التالي:

١. دعت الشريعة إلى ضرورة التمسك بالقرآن الكريم والسنة النبوية؛ فبهما يتحقق صلاح الفرد والمجتمع.

٢. تربية الفرد وتعليمه لتكوين العقل الواعي المميز الذي يصونه عن مظاهر الانحراف الفكري والعنف والتطرف، فقد ورد في القرآن الكريم في مواضع كثيرة لفظة "يعقلون" و"يتفكرون" إشارة إلى أهمية العقل في تسيير حركة الإنسان.

٣. دعت الشريعة الإسلامية إلى تحقيق الأمن الفكري بحفظ العقل وصيانته من الشطط والانحراف، يقول الشيخ ابن عاشور: متحدثاً عن المقصد العام من التشريع: "هو حفظ نظام الأمة واستدامة صلاحه بصلاح المهيمن عليه، وهو نوع الإنسان. ويشمل صلاح عقله، وصلاح عمله، وصلاح ما بين يديه من موجودات العالم الذي يعيش فيه." (١)

وقد اتخذت الشريعة كل ما من شأنه حفظ العقل من تدابير منها تحريم شرب الخمر والمسكرات الأخرى المستحدثة وقررت كذلك عقوبة رادعة؛ حفظاً للعقل وصيانة له.

وأظن أنَّ اهتمام الشريعة بالعقل وتحقيق الأمن الفكري يأتي لتقرير حقيقة مهمة مؤداها أنَّ الأمن الفكري يقود المجتمع إلى تحقيق ألوان الأمن الأخرى، وفي ذلك يقول رضوان بن ظاهر الطلاع: "لا ريب أن تحقيق الأمن الفكري لدى الفرد يؤمن تحقيقاً تلقائياً للأمن في الجوانب الأخرى كافة، ذلك لأن العقل هو مناط القيادة العليا الواعية المميزة لدى الإنسان، وهو الجهة القيادية الموكلة بكل أصناف الأمن الأخرى، فإذا صلحت هذه القيادة صلح كل أفراد عائلة الأمن، وإذا فسدت فسد كل أفراد عائلة الأمن"(٢)

---

(١) محمد الطاهر ابن عاشور: مقاصد الشريعة الإسلامية، جـ٣ / ١٩٤

(٢) رضوان بن ظاهر الطلاع: نحو أمن فكري إسلامي، ص٢٠، ط. مطابع السفراء، الرياض- السعودية، سنة ١٤١٩هـ.

ويقول حيدر بن عبد الرحمن الحيدر: "إنَّ الأمن الفكري يمثل تحصيناً للفرد لما يمكن أن يهدد شخصيته الإسلامية وتكاملها مع محيطه البيئي والاجتماعي الذي يعايشه، ومن ثمَّ فهو يعمل على درء الأخطاء عن ذاته وعمن حوله، بل يعمل الأمن الفكري على تحصين النفس بالمبادئ الأخلاقية والسلوكية التي تعمل على حفظ هذه الشخصية وحريتها." (١)

(١) حيدر عبد الرحمن الحيدر: الأمن الفكري في مواجهة المؤثرات الفكرية، ص٣٤١ رسالة دكتوراه في أكاديمية الشرطة بجمهورية مصر العربية. الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

المبحث الثاني

ملامح المنهج النبوي في تعزيز الأمن الفكري

تتجلى أبرز ملامح المنهج النبوي في معالجة مظاهر الانحراف الفكري وتحقيق الأمن الفكري للفرد والمجتمع من خلال أساليب الدعوة إلى الله الواردة في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥] وهي ثلاثة أساليب دارت حولها معظم روايات السنة النبوية: الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن. يقول الشيخ ابن عاشور معقباً على هذه الآية: "والتخلق بهذه الآية هو أن كل من يقوم مقاماً من مقامات الرسول ﷺ في إرشاد المسلمين أو سياستهم يجب عليه أن يكون سالكاً للطرائق الثلاث: الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن وإلا كان منصرفاً عن الآداب الإسلامية وغير خليق بما هو فيه من سياسة الأمة، وأن يخشى أن يُعرِّض مصالح الأمة للتلف، فإصلاح الأمة يتطلب إبلاغ الحق إليها بهذه الوسائل الثلاث، والمجتمع الإسلامي لا يخلو من متعنتٍ أو مُلبِّسٍ، وكلاهما يُلقى في طريق المصلحين شوك الشبه بقصد أو بغير قصد"(١)

وهي أساليب تناسب حال المستهدفين من الدعوة، يقول ابن القيم – رحمه الله –: "الدعوة إلى الله بالحكمة للمستجيبين، والموعظة الحسنة للمعرضين الغافلين، والجدال بالتي هي أحسن للمعاندين المعارضين، فهذه حال اتِّباع المرسلين وورثه النبيين"(٢)

ونقدِّم فيما يلي عرضاً موجزاً لأبرز ملامح المنهج النبوي في تعزيز الأمن الفكري.

---

(١) محمد الطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير، جـ١٤/ ٣٣٤، ط. الدار التونسية للنشر- تونس، سنة ١٩٨٤م

(٢) ابن قيم الجوزية: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإدارة، جـ١ /٧٨، ط. دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان

المطلب الأول

الموعظة الحسنة

جاء في لسان العرب لابن منظور أن الموعظة هي النصح والتذكير بالعواقب، قال ابن سيده: "هو تذكيرك للإنسان بما يُليِّن قلبه من ثواب وعقاب"(١)

وقد عرَّفها ابن القيم بقوله: "هي الأمر والنهي المقرون بالرغبة والرهبة"(٢)

وعرَّفها الشوكاني بقوله: "هي المقالة المشتملة على الموعظة الحسنة التي يستحسنها السامع وتكون في نفسها حسنة باعتبار انتفاع السامع بها"(٣)

ويعتمد هذا الأسلوب النبوي على الترغيب بما يحمله من إغراء للمخاطب بمصلحة يحققها أو متعة تنتظره حال الالتزام، والترهيب بما يحمله من تفزيع وتخويف وتهديد ووعيد حال المخالفة والإصرار على المعصية كما يعتمد أسلوب الموعظة النبوية على جوانب أخرى منها: الموعظة بالقصة، والموعظة بضرب الأمثال، والموعظة بالتعليق على المشاهد المباشرة والأحداث الحياتية التي كان يخالط الناس فيها رسول الله ﷺ.

ومن أمثلة الانحراف الفكري التي عالجها النبي ﷺ وتصدى لها بالموعظة الحسنة ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي مسعود الأنصاري قال: قال رجل: يا رسول الله لا أكاد أدرك الصلاة مما يطول بنا فلان، فما رأيت النبي ﷺ في موعظة أشد غضباً يومئذٍ فقال: "أيها الناس إنكم منفرون فمن صلى بالناس فليخفف فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة"(٤)

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، مادة (وعظ)، جـ٧ /٤٦

(٢) ابن قيم الجوزية: مفتاح دار السعادة، جـ١ /١٥٣

(٣) محمد بن علي الشوكاني: فتح القدير، جـ٣ /٢٤٢، ط. الأولى، دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، دمشق، سنة ١٤١٤هـ

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره، حديث رقم (٩٠)، جـ١ / ٣٠

تأمل معي –رعاك الله– هذا الحديث النبوي، وانظر كيف قوَّم الرسول ﷺ هذا الانحراف الفكري الذي تملك من نفس هذا الإمام ومؤداه أنه يرى تمام الصلاة في إطالتها والمبالغة في أركانها من قيام وركوع وسجود وهو ما لا يطيقه جميع الناس، فهو يظن خطأ أنَّ إطالة أمد الصلاة مقربة من الله –تعالى– وتتجلى موعظة النبي ﷺ في استخدام أسلوب الترهيب والزجر المتمثل في قوله ﷺ : "إنكم منفرون" واستخدام أسلوب الشرط المتمثل جوابه في أسلوب الأمر "فليخفف" وعلل له بقوله: "فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة" وهم أهم الأعذار الذين لا يطيقون الإطالة في الصلاة.

فتبدو لنا – من خلال الحديث– حكمة الرسول ﷺ في معالجة الأمر، وموعظته الحسنة التي تمس شغاف القلوب، ورحمته ﷺ بهؤلاء الضعاف واهتمامه بهم، كما تتضح لنا طريقته العظيمة في معالجة هذا الانحراف الفكري قبل أن يستشري بين جموع المسلمين في عصور الإسلام الأولى، وهو ما نحتاجه في أيامنا هذه؛ لسد ذرائع الغلو والتطرف في مجتمعاتنا المعاصرة.

من أمثلة ذلك – أيضاً– تحذيره ﷺ من الانحرافات الفكرية المستمدة من طبيعة المجتمع الجاهلي وسلوكياته، وقد تجلى ذلك واضحاً في خطبة حجة الوداع المشهورة، عن أبي بكرة عن النبي ﷺ قال: "إنَّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم: ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان. أيُّ شهر هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أن سيسميه بغير اسمه. قال: أليس ذا الحجة؟ قلنا: بلى. قال: أي بلد هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه. قال: أليس البلدة قلنا: بلى. قال: فأي يوم هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه. قال: أليس هذا يوم النحر. قلنا: بلى. قال: فإن دماؤكم وأموالكم وأعراضكم

عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم. ألا فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض." (١)

ففي هذه الخطبة تتجلى حكمة الرسول ﷺ وموعظته الحسنة، وحرصه على تصحيح السلوكيات والمفاهيم الفكرية المستمدة عند بعض الناس من المجتمع الجاهلي. فالنبي ﷺ استخدم عدة أساليب متنوعة لإقناع المخاطبين وترسيخ هذه المعاني في أذهانهم وتبدو لنا حكمته ﷺ في معالجة هذه الانحرافات الفكرية التي يستتبعها انحرافات سلوكية، إذ الغالب عليها أنها أفكار جاهلية تتناقض مع ما أرساه الإسلام من قيم ومبادئ. كما يتضح لنا حرصه ﷺ على بيان تلك الانحرافات للناس كافة فاختار لها أفضل الأوقات وأسمى الأماكن؛ ليظل وقعها في أذهان المسلمين حتى قيام الساعة.

ومهما يكن من أمر فإن أسلوب الموعظة الحسنة الذي قامت عليه الدعوة النبوية في معالجة الانحرافات الفكرية وتعزيز الأمن الفكري للفرد والمجتمع أنجح الأساليب؛ لاعتماده على إثارة الانفعالات وتربية العواطف وهما اللذان يمثلان أقوى الدوافع لدى الإنسان في قبول الموعظة وتعديل السلوك الإنساني.

(١) متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأضاحي، باب: من قال الأضحى يوم النحر، حديث رقم (٥٢٣٠)، رواه مسلم في صحيحه، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديان، باب: تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، حديث رقم (١٦٧٩)

المطلب الثاني

الحوار

يُعرف الحوار بأنه: "حديث يجري بين شخصين أو أكثر في قضية ما، عن طريق السؤال والجواب شريطة الوحدة في الموضوع"(١)

وقد حرص النبي ﷺ على تعزيز الأمن الفكري للفرد والمجتمع باستخدام استراتيجية الحوار لما لها من فوائد عظيمة تقود إلى الإقناع وتصوير السلوك، من خلال تقريب وجهات النظر وتعزيز القيم الإيجابية. وللحوار فوائد عظيمة " تتمثل في تنمية العقل وتوسيع الإدراك وزيادة النشاط للكشف عن حقائق الأمور، ويكون الحوار مثمراً إذا ما تمتع بمساحة للرأي، ويعتبر آلية يتم من خلالها الوقاية من الفكر المتطرف من خلال سماع الرأي والرد عليه." (٢)

والسنة النبوية زاخرة بالحوار الذي يبين المكانة الرفيعة لأسلوب الحوار في التوجيهات النبوية وتتجلى فيه رحمة النبي ﷺ لأصحابه ومراعاته لأحوالهم، وإنزاله لهم منازلهم، وتقديره لهم ورغبته ﷺ في تصويب انحرافاتهم الفكرية والسلوكية.

ولنأخذ مثالاً على استخدام الرسول ﷺ لأسلوب الحوار في تعزيز الأمن الفكري لهذا الشاب الذي تملكه الانحراف الفكري وقاده إلى استحلال الزنا. "فعن أبي أمامة: أنَّ رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: أئذن لي في الزنا. فصاح به الناس. فقال النبي ﷺ: أقروه. فدنا حتى جلس بين يدي رسول الله ﷺ فقال له النبي ﷺ: أتحبه لأمك؟ قال: لا. قال: وكذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم. قال: أتحبه لابنتك؟ قال: لا. قال: وكذلك

---

(١) عبدالرحمن النحلاوي: أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ص ١٦٦، ط. دار الفكر، دمشق – سوريا، سنة ٢٠٠٧ م.

(٢) تيسير حسين السعيدين: دور المؤسسات التربوية في الوقاية من الفكر المتطرف، بحث منشور بمجلة البحوث التربوية كلية الملك فهد بالرياض، ص ٤٢، سنة ٢٠٠٥ م.

الناس لا يحبونه لبناتهم. قال: أتحبه لأختك؟ قال: لا. قال: وكذلك الناس لا يحبونه لأخواتهم. فوضع رسول الله ﷺ يده على صدره فقال: اللهم كفِّر ذنبه وطهِّر قلبه وحصِّن فرجه." (١)

تأمل معي –حفظك الله– هذا الحوار النبوي وتلمّس فيه هدوء النبي ﷺ ورحمته بهذا الشاب، وانظر كيف وصل به عن طريق الحوار إلى تعديل هذه الانحراف الفكري، وقاده إلى جادة الصواب، فخرج الشاب من هذه المحاورة وهو كاره لفعل الزنا.

ومثال آخر: في مسند الإمام أحمد عن هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: دَخَلَتْ عَلَيَّ خُوَيْلَةُ بِنْتُ حَكِيمِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ الْأَوْقَصِ السُّلَمِيَّةُ وَكَانَتْ عِنْدَ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ قَالَتْ: فَرَأَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَذَاذَةَ هَيْئَتِهَا، فَقَالَ لِي: " يَا عَائِشَةُ، مَا أَبَذَّ هَيْئَةَ خُوَيْلَةَ؟ " قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، امْرَأَةٌ لَا زَوْجَ لَهَا يَصُومُ النَّهَارَ، وَيَقُومُ اللَّيْلَ فَهِيَ كَمَنْ لَا زَوْجَ لَهَا، فَتَرَكَتْ نَفْسَهَا وَأَضَاعَتْهَا، قَالَتْ: فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ فَجَاءَهُ، فَقَالَ: " يَا عُثْمَانُ، أَرَغْبَةً (أي: أرغبت) عَنْ سُنَّتِي؟ " قَالَ: فَقَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، وَلَكِنْ سُنَّتَكَ أَطْلُبُ، قَالَ: " فَإِنِّي أَنَامُ وَأُصَلِّي، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَنْكِحُ النِّسَاءَ، فَاتَّقِ اللهَ يَا عُثْمَانُ، فَإِنَّ لِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِضَيْفِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَصُمْ وَأَفْطِرْ، وَصَلِّ وَنَمْ " (٢)

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير، جـ٨ / ١٨٣حديث رقم (٧٧٥٩)، قال الشيخ الألباني: صحيح [انظر: السلسلة الصحيحة، جـ١، ٧١٢ حديث رقم (٣٧٠)]

(٢) رواه أحمد في مسنده، مسند النساء، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق – رضى الله عنه – حديث رقم (٢٦٣٠٨)، ط. الرسالة، والحديث إسناده حسن من أجل ابن إسحاق: وهو محمد، وقد صرح بالتحديث فانتفت شبهة تدليسه، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين. يعقوب: هو ابن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري.
وأخرجه أبو داود (١٣٦٩)

إذا تدبرنا هذا الحديث نجد النبي ﷺ لم يتوان برهة في معالجة هذا الانحراف الفكري الذي تملَّك نفس الصحابي الجليل فقاده إلى إهمال حق زوجه الأمر الذي أصابها بالزهد في هيئتها فبدت رثة في ثيابها فتركت نفسها وأضاعتها، ففزع النبي ﷺ وبعث على الفور للصحابي وحاوره برحمة ولين؛ ليصوب خطأه السلوكي.

والأمثلة على ذلك كثيرة مبثوثة في مصنفات السنة النبوية ولا يسعنا المجال لذكرها.

المطلب الثالث

الرد على المضللين

المضللون أناس منهم من يقودون غيرهم إلى نشر الفسق والضلال، ومنهم من يقودون غيرهم –بدون قصد– إلى الضلال، والصنف الأخير يصح أن نُطلق عليهم "المغالين" أو "المتنطعين" أو "المتطرفين في الفكر والسلوك"

ومعلوم أنَّ ديننا الحنيف دين الوسطية والاعتدال، ويرفض المغالاة والتطرف وتجاوز الحد حتى وإن كان في الطاعة. يقول النبي ﷺ: "يسِّروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفِّروا"(١)

وعن عائشة –رضي الله عنها– أنها قالت: "ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه..." (٢)

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، حديث رقم (٦٩)، ورواه مسلم، في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الأمر بالتيسير وترك التنفير، حديث رقم (١٧٣٤)

(٢) متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ حديث رقم (٣٥٦٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب مباعدة النبي للآثام واختياره من المباح أسهله، حديث رقم (٢٣٢٧)

ولنأخذ مثالاً يوضح لنا كيف كان النبي ﷺ يرد على هؤلاء المضللين غيرهم دون قصد محاولة منهم في كسب مزيد من الطاعة والثواب جاء في الصحيحين عن أنس بن مالك ﷺ قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أُخبروا كأنهم تقالوها وقالوا: أين نحن من النبي ﷺ وقد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحمدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر أبداً ولا أطر. وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال: "أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأُصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني"(١)

فالنبيﷺ كره من هؤلاء الشطط وتجاوز الحد المشروع رغم أنه كان في الطاعة بنية تحصيل الثواب. وخشي ﷺ أن يكونوا مضللين لغيرهم فبيَّن لهم أن سنته في التوسط والاعتدال وعدم المبالغة ومن حاد عن ذلك فليس من أمته؛ إغلاقاً لأبواب الغلو والتطرف وتعزيزاً للأمن الفكري للفرد والمجتمع على حد سواء.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، حديث رقم (١٩٤٩)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب (استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم)

المطلب الرابع

العقوبة الرادعة

لقد شرع الله – تعالى– ونبيه ﷺ تطبيق الحدود الشرعية أو عقوبات التعزير في حق هؤلاء المنحرفين فكريًّا عند مجاهرتهم بمعتقداتهم وأفكارهم؛ تعزيزاً للأمن الفكري للفرد والمجتمع، وحتى لا تستشري مظاهر الانحراف في المجتمع المسلم، فكانت هناك عقوبات رادعة للمرتدين عن الدين، وعقوبة لمن يذهبون إلى الكُهان فيصدقونهم، وعقوبة للسحرة، وعقوبة للذين يخوضون في متشابه القرآن فيضللون الناس... إلخ

ولعل مقصد الشريعة من إقرار مثل هذا العقوبات هو إصلاح حال المجتمع، يقول الشيخ ابن عاشور: "الزواجر والعقوبات والحدود ما هي إلا إصلاح لحال الناس... وذلك أن من أكبر مقاصد الشريعة هو حفظ نظام الأمة، وليس يُحفظ نظامها إلا بسد ثلمات الهرج والفتن والاعتداء"(١)

وتتنوع هذه العقوبات ما بين عقوبات دنيوية، وعقوبات أخروية، أو تجمع بينهما. يقول الدكتور عبدالله الزايدي: فالمتأمل فيما ذكره الفقهاء في باب التعزير يجد مجالاً واسعاً لولي الأمر لمعاقبة دعاة الضلال والانحراف، ومن تلك العقوبات المنع من التواصل الإعلامي بالكتابة والحديث بأي وسيلة. وقد يرى البعض أن هذا مما يتنافى مع حرية الرأي، والتعددية الفكرية، ويرون في هذا إرهاباً فكريًّا وغير ذلك من وجوه الذم. وفي الجواب عن هذا يقال: إن هؤلاء المنادين بحرية الرأي سرعان ما يكذبون أنفسهم إذا تعلق الأمر بغيرهم ممن يخالفهم الرأي، فهم في وسائلهم لا ينشرون إلا لمن يوافقهم. ويسكتون على كل قضية تتصل بوأد الحريات إذا كان ذلك يمس الدين ودعاته. بل ربما نادى بعضهم بمنع مخالفيهم من كل وسيلة نشر.

(١) محمد الطاهر ابن عاشور: مقاصد الشريعة الإسلامية، جـ٣ / ٥٤٩

ومن صور التعزير في هذا المجال – أيضاً –: رد الشهادة أو عدم قبول الرواية، فمن العقوبات التي قررها أهل العلم تجاه أصحاب الفكر المنحرف والاعتقاد البدعي أن المبتدع لا تقبل شهادته تأديباً وعقوبةً له، غير أن أهل العلم لم يعمموا الحكم، وإنما نظروا بعين البصيرة والعدل للأشخاص ودرجة انحرافهم وأسباب ذلك، ومدى قدرتهم على معرفة الحق " فمن كفر بمذهبه كمن ينكر حدوث العالم وحشر الأجساد وعلم الرب تعالى بجميع الكائنات وأنه فاعل بمشيئته وإرادته فلا تقبل شهادته؛ لأنه على غير الإسلام. "(١)

ومن العقوبات الرادعة التي قررها النبي ﷺ لمحاربة أصحاب الفكر المنحرف الأمر بهدم وتحريق المسجد الذي بُنى لغرض تفريق المسلمين (مسجد ضرار) ؛ لئلا يكون مأوى للمنافقين، ذكرت كتب التفسير أمر هذه القصة: " أقبل رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يعني من تبوكَ حتى نزل بذي أوانٍ بلدٍ بينه وبين المدينةِ ساعةٌ من نهارٍ وكان أصحابُ مسجدِ الضِّرارِ قد كانوا أتَوه وهو يتجهَّز إلى تبوكَ فقالوا يا رسولَ اللهِ إنا قد بنينا مسجدًا لذي العِلَّةِ والحاجةِ والليلةِ المَطيرة والليلةِ الشاتيةِ وإنا نحبُّ أن تأتينا فتصلِّي لنا فيه فقال إني على جناحِ سفرٍ وحال شغلٍ أو كما قال صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ولو قدِمْنا إن شاء اللهُ تعالى أتَيناكُم فصلَّينا لكم فيه فلما نزل بذي أوانٍ أتاه خبرُ المسجدِ فدعا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مالكَ بنَ الدُّخشمِ أخا بني سالمِ بنِ عوفٍ ومعنِ بن عديٍّ أو أخاه عامرُ بنُ عديٍّ أخا بلْعَجْلانِ فقال انطلِقا إلى هذا المسجدِ الظالمِ أهلُه فاهدِماه وحرِّقاهُ فخرجا سريعَينِ حتى أتيا بني سالمِ بنِ عوفٍ وهم رهطُ مالكِ بنِ الدُّخشُمِ فقال مالكٌ لمعنٍ أَنظِرْني حتى أخرجَ إليك بنارٍ من أهلي فدخل أهلُه فأخذ سَعفًا من النخلِ فأشعل فيه نارًا ثم خرجا يشتدّانِ حتى دخلا المسجدَ وفيه أهلُه فحرَّقاه وهدماه وتفرَّقوا

(١) حماية المجتمع المسلم من الانحراف الفكري، للدكتور: عبد الله بن عبد العزيز الزايدي بحث منشور بمجلة البحوث الإسلامية، العدد السابع والسبعون – من ذو القعدة إلى صفر لسنة ١٤٢٦هـ ١٤٢٧هـ، الصفحة رقم: ٢٩٥

عنه ونزل فيهم من القرآنِ ما نزل (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا) إلى آخر القصة " (١)

ومنها – أيضًا– عقوبة الذهاب إلى الكهان والعرَّافين والمشعوذين (٢)

جاء في السنة المطهرة تحريم عمل الكهان وتحريم الذهاب إليهم فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: " من أتى امرأة حائضاً أو امرأة في دبرها أو كاهنا فقد كفر بما أنزل على محمد " (٣).

وروى مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ أنه قال: " من أتى عرَّافاً فسأله عن شيء لم تُقبل له صلاة أربعين ليلة " (٤)

والمجال لا يسعنا لسرد هذه العقوبات الرادعة لهؤلاء المنحرفين فكريًّا والتي حرص الرسول ﷺ على إنزالها بهم؛ تعزيزاً للأمن الفكري بين جنبات المجتمع الإسلامي.

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ج١٤/٤٦٨، ط. الأولى، مؤسسة الرسالة، سنة ١٤٢٠ ه / ٢٠٠٠م. وذكره الشيخ الألباني في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل برقم: ٦٠٩٢، ج ٥/ ٣٧٠، ط. المكتب الإسلامي – بيروت، سنة ١٣٩٩ه. وحكم عليه بأنه: مرسل.

(٢) الكهانة بفتح الكاف وكسرها: ادعاء علم الغيب كالإخبار بما سيقع في الأرض مع الاستناد إلى سبب، والأصل فيه استراق الجن السمع من كلام الملائكة، فيلقيه في أذن الكاهن، والكاهن: لفظ يطلق على العراف، والذي يضرب بالحصى، والمُنجِّم، ويطلق على من يقوم بأمر آخر ويسعى في قضاء حوائجه، والكاهن: القاضي بالغيب، والكهنة: قوم لهم أذهان حادة ونفوس شريرة وطباع نارية فألفتهم الشياطين لما بينهم من التناسب في هذه الأمور وساعدتهم بكل ما تصل قدرتهم إليه. [ابن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، صححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، ج ١٠، ٢١٦، ط. دار المعرفة، بيروت – لبنان، سنة ١٣٧٩ه]

(٣) رواه النسائي في السنن الكبرى، حققه: حسن عبدالمنعم شلبي، كتاب: عشرة النساء، حديث رقم (٨٩٦٨) ، ج ٨ / ٢٠١ ، ط . الأولى مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، سنة ١٤٢١ه – ٢٠٠١م.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب: تحريم الكهانة وإتيان الكهان، حديث رقم (٢٢٣٠)

خاتمة البحث

من أهم نتائج البحث ما يلي:

أولاً: الأمن الفكري من المفاهيم المستحدثة في الفكر الإسلامي، لكنه يتعمق بجذوره منذ بدء الدعوة الإسلامية، ويكتسب مكانته من ارتباطه بالأمن والفكر.

ثانياً: يُعد الأمن الفكري من أهم مقاصد الشريعة الإسلامية، إذ جاءت للمحافظة على كل ما من شأنه أن يحقق مصالح العباد ويحفظ عليهم الدين والعقل والنسل والعرض والمال.

ثالثاً: الأمن والإيمان في الشريعة الإسلامية وجهان لعملة واحدة، ونظرة الإسلام إلى الأمن نظرة شمولية تتخطى حدود الأمن الجنائي للفرد إلى تحقيق أمنه النفسي والروحي والعقلي.

رابعاً: تتجلى ملامح المنهج النبوي في تعزيز الأمن الفكري للفرد والمجتمع من خلال عدة أساليب تناسب حال المستهدفين من الدعوة هي:

١. الموعظة الحسنة.

٢. الحوار.

٣. الرد على المضللين.

٤. العقوبة الرادعة.

توصيات البحث:

من أهم توصيات البحث ما يلي:

أولاً: ضرورة الرجوع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية لإيجاد الحلول لمشكلاتنا الاجتماعية المعاصرة؛ لأنهما صالحان لكل زمان ومكان، وفيهما الأسوة والقدوة والتمسك بهما يقي الفرد والمجتمع شرور الانحرافات الفكرية، ويعزز الأمن الفكري للفرد والمجتمع.

ثانياً: لا بد من مراجعة المناهج التعليمية والمقررات الدراسية للمدارس والمعاهد والكليات الجامعية، وتقديم جرعات من نصوص السنة النبوية المطهرة؛ لدعم الأمن الفكري للفرد والمجتمع.

ثالثًا: أدعو نفسي والزملاء الدارسين للدراسات الإسلامية والفكر الإسلامي إلى تقديم دراسات متعمقة ودقيقة لجميع القضايا التي أُثيرت في هذا البحث إكمالاً للفائدة المرجوة.

وأخيرًا الله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم ويفتح به بابًا من أبواب الخير لأمتنا الإسلامية.

المصادر والمراجع

١. ابن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، صححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، ج ١٠، ٢١٦، ط. دار المعرفة، بيروت – لبنان، سنة ١٣٧٩ه.

٢. ابن قيم الجوزية: إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق محمد عبد السلام إبراهيم، ط. الأولى، دار الكتب العلمية- بيروت، سنة ١٤١١هـ- ١٩٩١م

٣. ابن قيم الجوزية: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإدارة، ط. دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان

٤. ابن منظور: لسان العرب، ط. الثالثة. دار صادر، بيروت- لبنان، سنة ١٤١٤هـ

٥. أحمد الريسوني: نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، ط. الثانية، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، سنة ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

٦. أحمد بن فارس القزويني: مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط. دار الفكر، سنة١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٧. تيسير حسين السعيدين: دور المؤسسات التربوية في الوقاية من الفكر المتطرف، بحث منشور بمجلة البحوث التربوية كلية الملك فهد بالرياض، سنة ٢٠٠٥ م.

٨. جميل صليب: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، ط. دار الكتاب اللبناني، بيروت – لبنان، سنة ١٩٨٢م.

٩. حمادي العبيدي، الشاطبي ومقاصد الشريعة، ط. الأولى، درا قتيبة، سنة ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م

١٠. حيدر عبد الرحمن الحيدر: الأمن الفكري في مواجهة المؤثرات الفكرية، رسالته دكتوراه في أكاديمية الشرطة بجمهورية مصر العربية. الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٣هـ.نشرت بكلية حقوق المنصورة سنة ٢٠٠١م.

١١. د. محمد بكر إسماعيل: مقاصد الشريعة تأصيلاً وتفعيلاً، ط. رابطة العالم الإسلامي، سلسلة دعوة الحق، العدد (٢١٣) السنة الثانية والعشرون، ١٤٢٧هـ.

١٢. رضوان بن ظاهر الطلاع: نحو أمن فكري إسلامي، ط. مطابع السفراء، الرياض- السعودية، سنة ١٤١٩ه.ـ

١٣. الشيخ الألباني: محمد ناصر الدين، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ط. المكتب الإسلامي – بيروت، سنة ١٣٩٩ه.

١٤. الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير، ط. الدار التونسية للنشر- تونس، سنة ١٩٨٤م

١٥. الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور: مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق ودراسة: محمد الحبيب ابن الخواجة، ط. وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية- قطر- سنة ١٤٢٥ هـ- ٢٠٠٤م

١٦. الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ): المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط. الثانية، مكتبة ابن تيمية – القاهرة.

١٧. الطبري: محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط. الأولى، مؤسسة الرسالة، سنة ١٤٢٠ ه / ٢٠٠٠م.

١٨. عبد الحفيظ المالكي: نحو بناء استراتيجية وطنية لتحقيق الأمن الفكري في مواجهة الإرهاب، ط. جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض – السعودية، سنة ١٤٢٧ه.

١٩. عبد الرحمن النحلاوي: أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ط. دار الفكر، دمشق – سوريا، سنة ٢٠٠٧ م.

٢٠. عبد الرحمن بن معلا اللويحق: الأمن الفكري في ضوء السنة النبوية (دراسة علمية لبناء النظرية الإسلامية للأمن الفكري)، بحث فائز بجائزة الأمير نايف ابن عبد العزيز آل سعود العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة (فرع السنة النبوية)، الدورة السادسة لعام ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م مطبوع على نفقة المؤسسة، ط. الأولى سنة ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.

٢١. عبد الله بن عبد العزيز: مجلة البحوث الإسلامية، العدد السابع والسبعون – من ذي القعدة إلى صفر لسنة ١٤٢٦هـ ١٤٢٧هـ، بحث بعنوان: حماية المجتمع المسلم من الانحراف الفكري، للدكتور: عبد الله بن عبد العزيز

٢٢. علال الفاسي: مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، ط. الخامسة، دار الغرب الإسلامي، المغرب سنة ١٩٩٣ م.

٢٣. علي بن محمد الجرجاني: التعريفات، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط. الأولى- دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، سنة ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٢٤. محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير ابن ناصر الناصر، ط. الأولى، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) سنة ١٤٢٢هـ

٢٥. محمد بن علي الشوكاني: فتح القدير، ط. الأولى، دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، دمشق، سنة ١٤١٤هـ

٢٦. مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ت ٢٦١هـ، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط. دار إحياء التراث العربي. الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

٢٧. النسائي أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب: السنن الكبرى، حققه: حسن عبد المنعم شلبي، ط. الأولى مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، سنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣٨٧
التمهيد: حول مصطلح الأمن الفكري.	٣٩٢
المبحث الأول: مقاصد الشريعة ودورها في تحقيق الأمن الفكري.	٣٩٥
المبحث الثاني: ملامح المنهج النبوي في تعزيز الأمن الفكري. ويأتي في عدة مطالب:	٤٠١
المطلب الأول: الموعظة الحسنة.	٤٠٢
المطلب الثاني: الحوار.	٤٠٥
المطلب الثالث: الرد على المضللين.	٤٠٧
المطلب الرابع: العقوبة الرادعة.	٤٠٩
الخاتمة .	٤١٢
المصادر والمراجع.	٤١٤
فهرس الموضوعات.	٤١٨